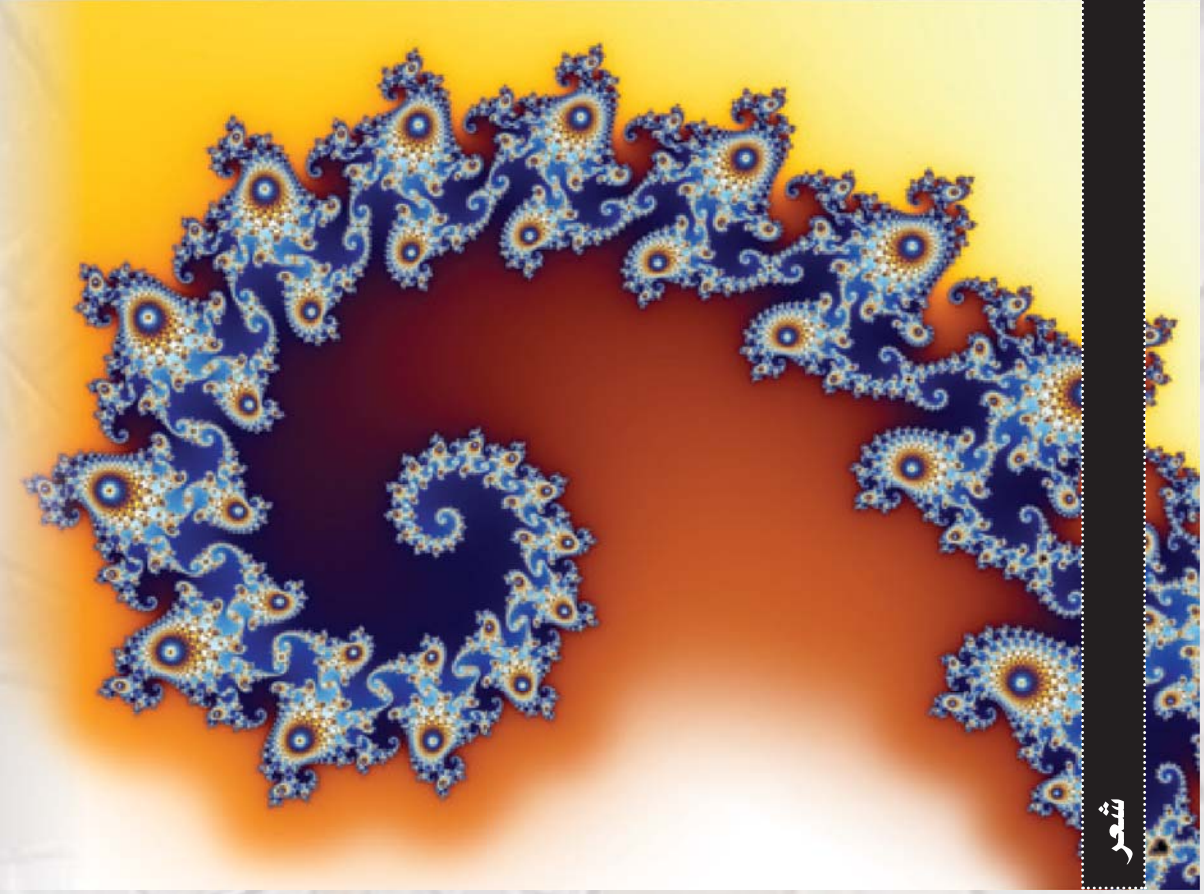

محمد حاج يوسف

هذا هو الزمان

هذا هو الزمانْ:
يأتي إلينا مسرعاً، من أبَدِ
الغيب،
ويغيبُ مسرعاً، في أزل النسيانْ.
كلّما حاولتُ أن أُمسكه،
يمضي كأنّه ما كانْ.
وإذا خاطبته، قال لي: هل أنت
تعرفني؟
ربما تقصد أخي، الذي كان هنا!
لقد مضى، أمّا أنا، فقد وُلدتُ
الآنْ.
وهكذا نحن، بنو الدهر: نأتي
لحظةً لحظةً،
لا توجد منّا لحظتانْ.

هذا هو الزمانْ: يأتي بكلِّ
الحادثات،
بالفرْح والأحزانْ.
مثل قطار سريع،
تمرُّ بنا عرباتُه، مغلقةً، فنفتحها،
فنفرحُ حيناً بما فيها،
ونحزنُ، في أغلب الأحيانْ.

كلّما دخل علينا يومٌ من الدهر،
يفتحُ سجلاته، وينشرها في زوايا
المكانْ.
فيكتبُ ما يشاء، ويمحو،
ويرسمُ وجوهاً جديدةً، بالأبيضِ
والأسود، وبالألوانْ.
ثم يطويها ويمضي، ليأتيَ يومٌ
آخر،
فيفتح سجلاته، وينشرها في
زوايا المكانْ.
وتسيرُ بنا الأيام، مسرعةً،
فنسكنُ في لياليها،
ونهارُها كالنَّهر، يحملنا،
من ضفّة أمان، إلى ضفّة خوف،
ومن ضفّة خوفٍ، إلى ضفّة أمانْ.
فمرةً يكون ماؤُها صافٍ، ومرةً
مكدّراً،
لكنّه يمضي بنا،
فلا أحد يسبَحُ في مائه مرَّتين،
ولا في نفس الماء يمكن أن يسبَحَ
اثنانْ.

هذا هو الزمانْ: يمرُّ دون توقُّفٍ،
ويدخلُ، ويخرجُ، من غير
استئذانْ ◇